

في مدينة الأبيض سيدي الشيخ
فرنسا وأول تجربة تنصيرية في التاريخ
-الجزء السادس عشر بعد المائة-

بقلم: الطيب بن ابراهيم

*لويس ماسينيون وأخوات يسوع الصغيرات

المقس ماسينيون مستشار وزارة الخارجية الفرنسية لم يكن أحد يعرف بترسيمه قسا سرا باستثناء عدد قليل من الأساقفة المقربين من الفاتيكان. وهو المعروف بتدخلاته من بعيد وبحذره الشديد لقد تحدث رئيس إرسالية الأبيض الأب روني فوايوم على أستاذه ماسينيون بإعجاب وتكلم عن دوره المساند لإرسالته وعن عشرات الرسائل المتبادلة بينهما وكان ذلك بعد وفاة ماسينيون سنة 1962. وإذا كان هذا حال ماسينيون مع رئيس إرسالية الإخوة الأب فوايوم فكيف كان الحال مع رئيسة إرسالية الأخوات الأخت مادلين أوتان؟ الأكد أنها كانت تعلم بتلك العلاقة مع الأب فوايوم ومع إرساليتها؟ لكن هل كانت هي الأخرى وأخواتها لهن نفس العلاقة والدرعاية مع ماسينيون؟

المظاهر أن الأخت مادلين أوتان لم تكن مرتبطة بـ ماسينيون بنفس ارتباط الأب فوايوم به لدرجة الافتتان لكن ذلك لم يمنع لويس ماسينيون من تقديم الدعم والتعاون لتنظيم أخوات يسوع الصغيرات الذي تأسس سنة 1939 بزعامة مادلين أوتان والمتابع أيضا لمدرسة شارل دي فوكو. كان العامل المشترك بين الجميع: الإخوة والأخوات ولويس ماسينيون هو شارل دي فوكو فالجميع هم تلامذة شارل دي فوكو والجميع مجند للسير على خطاه ونشر رسالته التي ضحى بحياته من أجلها والجميع يدين له بالولاء والوفاء. وإذا كان دور ماسينيون ودعمه للأخوات أقل مما كان عليه الحال مع الإخوة فذلك يعود للدور الكبير والتجربة التنصيرية المتميزة والمثيرة للجدل التي قامت بها إرسالية الإخوة والتي كان ماسينيون نفسه يراهن على نجاحها بينما إرسالية الأخوات لم تكن لهن نفس الجرأة والمغامرة ومع ذلك أشارت الأخت مادلين في مذكراتها إلى تعاون لويس ماسينيون معهن ومساعدته لهن. وردت هذه الإشارات في كتابها من الصحراء إلى العالم كله الصادر سنة 1981 قبل وفاتها سنة 1989 تحدثت عن تلك العلاقة مع ماسينيون ولكن بعيدا عن المناظر بعيدا عن الجزائر هناك في المشرق العربي.

*مذكرات خاصة

جاء في مذكرات ديار الأخت مادلين رئيسة إرسالية أخوات يسوع الصغيرات والتي جمعتها وطبعتها في كتابها السالف الذكر أنها كانت بمدينة مرسيليا وبتاريخ 14 ديسمبر سنة 1943 اتصلت الأخت Yva (أخت يسوع الصغيرة لاحقا) بلويس ماسينيون واستشارته في أمر رغبتها في الالتحاق بتنظيم أخوات يسوع الصغيرات الذي أسسته في الجزائر الأخت مادلين أوتان سنة 1939 فرد عليها ماسينيون: فكرت وصليت! وأعلم أن عمل الأخت ماجدولين أصبح أكثر واقعية وأن جميع الآراء المختصة ترى أنه عمل إحدى بذات الأب دي فوكو. وهنا نقرأ إجابة ماسينيون المعتادة التي تتطلب أكثر من قراءة خاصة أن الأخت أيضا لم تتخذ قرارها بعد لكنه يؤكد لها على إخلاص مادلين المابنة الصادقة للأب دي فوكو فهو معجب بمن اتخذت القرار وأنها فعلا تنسب لدي فوكو!

وفي مكان آخر لمادلين وفي نفس الكتاب تتحدث عن رسالة لها أرسلتها من باريس للأخوات الصغيرات بالتيب وهو مكان خاص بإقامة الأخوات بمدينة إيكس اوبروفونس بتاريخ 23 فبراير سنة 1944 قائلة:

خلال إقامتي بالتيب تقرر إرسال مجموعة الراهبات المعترف بهن إلى باريس في نهاية شهر أفريل سنة 1944 لدراسة اللغة العربية مع المبشرين الفرنسيين ماري الذين عرضوا عليهن في العام الماضي استضافتهن. كانت الأخوات الصغيرات بفرنسا يـقمن بأول دراسة لهن عن اللغة العربية والتعرف عن الإسلام تحت إشراف الأب الدكتور محمد جون عبد الجليل (مغربي مرتد) ولويس ماسينيون في انتظار أن تتمكن من الالتحاق بشمال إفريقيا للقيام بتعليم العربية في تونس.

كان عمل وتكوين ماسينيون لأخوات يسوع الصغيرات يتم في فرنسا وخارجها وفي مناسبة أخرى ودائما حسبما جاء في مذكرات الأخت مادلين وبتاريخ 26 أوت سنة 1949 تخبرنا أنه أثناء إقامتها بلبان تم تنظيم لقاء مع ماسينيون حيث تقول: غدا سنسافر صباحا إلى دمشق وستتناول طعام الغداء هناك مع المستشرق لويس ماسينيون وشريكته في تنظيم البديلة المصرية ماري كحيل وتضيف مادلين قائلة: نحن نتحدث عن القضايا الساخنة التي يحتفظ بها (ماسينيون) بكل نشاطه لكنه أكثر ليونة من المعتاد. نعهد إليه برغبتنا في تأسيس مؤسسة في بيت لحم. فعلا بعد ظهر ذلك اليوم قامت الأخت مادلين بعدة زيارات وحضرت اجتماع البديلة مع ماسينيون وشريكته ماري كحيل وبحضور جميع مرافقاتها من الأخوات الصغيرات.

كانت زيارة الأب فوايوم رئيس إرسالية الإخوة والأخت مادلين رئيسة إرسالية الأخوات إلى المشرق العربي تهدف لعقد عدة لقاءات مع قساوسة وأساقفة عرب من لبنان وسوريا وفلسطين ومصر وذلك من وحي ماسينيون وعلى سبيل المثال تم لقاء يوم 6 ديسمبر سنة 1949 بين الأب فوايوم والأخت مادلين والأخت جين خليفة مادلين لاحقا والأخت أيضا وذهبوا جميعا بعد الظهيرة لبعلك والتقوا

مع الأسقف معلوف ثم عادوا للالتقاء به في اليوم الموالي 7 ديسمبر حيث كانت لهم مشاريع مشتركة حسب وصف الأخت مادلين وبتاريخ 30 ديسمبر سنة 1949 بعد الزوال الأب فوايوم والأخت مادلين والأخت جين والأخت إيذا يزورون جميعا الأسقف حكيم في مدينة الناصرة بفلسطين هذا النشاط والتعامل مع المساوسة والأساقفة العرب مفيد جدا لرجال دين غير عرب ينشطون في ديار عربية وهذا ما كانت تدعو له وتؤكد عليه جل رسائل ماسينيون لرئيس إرسالية الأبيض. □

كان المستعرب ماسينيون عراب تعريب إرسالية إخوة يسوع الصغار بمدينة الأبيض حريصا جدا على تعريب نشاط وتعامل الإخوة والأخوات مع السكان ودعا الجميع بالاهتمام على مساعدة المسيحيين العرب وهو الذي كان وراء إرسال أنطوان حبيب اللبناي وجورج شحاتة قنواتي المصري إلى إرسالية الأبيض سيدي الشيخ للمساعدة وتقديم النصح والتوجيه في كيفية تعلم العربية والتعامل بها مع السكان لإداء ونجاح الرسالة كما ارسل للأبيض المستشرقين: إيميل جاني من تلمسان وبيار غرو من المغرب!.

...يُتبع...